صورة القائد "أبو عمار" في الشعر الفلسطيني المعاصر "دراسة موضوعية"

د. أحمد محمد المصري *

الملخص

يرمي هذا البحث إلى إبراز صورة القائد " أبو عمار " في الشعر الفلسطيني المعاصر بأبعادها الوطنية والعربية والإنسانية و الإشارة إلى العوامل التي ساهمت في تشكيل هذه الصورة المتفردة التي عكست بطولات الشعب الفلسطيني .

ويهدف هذا البحث أيضاً إلى الكشف عن الوسائل الفنية التي استخدمها الشاعر الفلسطيني المعاصر للتعبير عن صورة القائد " أبو عمار " تعبيراً فنياً من خلال استخدامه للرمز والصورة والموسيقى والمعجم الشعري الخاص .

منهج البحث :

هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناول وصف هذه الأبعاد المؤتلفة التي تشكل شخصية القائد الشهيد " أبو عمار " .

ABSTRACT

This research aims at highlighting the image of the leader " Abu Ammar " in contemporary Palestinian poetry with its national , Arab and human dimensions besides identifying the factors contributing, into formulating this unique image that reflected the Palestinian people heroism .

In addition to that , the paper aims to uncover the artistic tools used by the contemporary Palestinian poet in his endavours to artistically portray the leader's image particularly through the use of symbol, image , music and poetic diction .
This research made use of the descriptive analytical approach .

المقدمة:

غاب أبو عمار ومازال حاضراً في حياتنا اليومية، لم يكن أبو عمار متخرجاً في أكاديمية حربية ولكنه أتى من صفوف الشعب الفلسطيني ومن حركة ثورية انطلقت وأعلنت كفاحها المسلح في ظروف صعبة .

يعد ياسر عرفات أول رئيس منتخب للشعب الفلسطيني وذلك في تاريخ 1996/1/20، وقد حقق إنجازات كثيرة لشعبه ، من أهمها إلحاحه على توحيد المناهج الفلسطينية ، و عد التعليم جزءاً من تحرير فلسطين ، ومن ذلك إصدار جواز السفر الفلسطيني وإنشاء مطار رفح ، والشروع في إنشاء الميناء ، وحرص على أن يكون هناك توازن بين الدائرة السياسية في المنظمة ووزارة التخطيط والتعاون الدولي التي تشكل وزارة الخارجية للسلطة الوطنية الفلسطينية.إن السهولة في الاقتراب

* قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الأقصى – غزة – فلسطين.

صورة القائد "أبو عمار" في الشعر...

من أبي عمار جعلته شخصية محبوبة ، فقد امتلك قلوب الناس على صعيد شعبه وعلى الصعيدين الإقليمي والدولي ، وشوهد أبو عمار مرات كثيرة في مستشفى الشفاء في غزة ، يطمئن على حال الجرحى ، ويزور الأطفال والمرضى ، بل كان مهتماً بحياة شعبه الخاصة ، فكان بمثابة الأب الحاني على أولاده وأفراد أسرته ، وسمي " بالختيار" والوالد والقائد والرمز ، فقد أصبح جزءاً لا يتجزأ من حياة الناس وارتبطت شخصيته بالوجدان الفلسطيني ، وسكن الذاكرة الفلسطينية. وكان ياسر عرفات شخصية متميزة في الإنسانية والنضال وفي القيادة ، وكان رجلاً بشوشاً تأسرك ابتسامته العذبة ، ووفياً لشعبه وأمته في وقت عز فيه وفاء الأصدقاء والمحبين ممن تربطه بهم رابطة الدم والإسلام والعروبة.

سيبقى القائد أبو عمار خالداً في قلب كل فلسطيني وكل مناضل من رفاق النضال ، وسيبقى ياسر عرفات في عيون الشعب الفلسطيني .

الفصل الأول:

يعد الشهيد " أبو عمار " الزعيم التاريخي للشعب الفلسطيني في التاريخ المعاصر ، فلم يكن قائداً فحسب بل كان رمزاً متألقاً في سماء الثورة ، رمز الوطنية الفلسطينية ، تولى السلطة الوطنية في ظروف صعبة معقدة اختلط فيها مفهوم المقاومة بالإرهاب.

تمسك الشهيد أبو عمار بالثوابت الوطنية ، ولم يفرط في كامب ديفيد الثانية بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، ولم يعبأ بالتهديد الأمريكي والإسرائيلي ، وأكد أنه لن يفرط في قضية القدس ، وحقوق اللاجئين الفلسطينيين. يقول سليم الزعنون " أبو الأديب " في قصيدته " الرئيس ياسر عرفات والقدس" [1]:

يا ياسر هذا الشعب مبتهج	من موقف جاء فيه العهد والقسم
وقفت في "الكمب"جبارا ومقتدرا	من حولك الغدر والتهديد محتوم
وقلت ،قدسي،وشعبي،لا مساومة	إن القيامة أفديها وألتزم
واللاجئون لهم في القلب منزلة	لا للشراء ولا للبيع أرضهم

إن الشهيد ياسر عرفات هو رمز الشعب الفلسطيني وأمله لتحرير المسجد الأقصى ، فلا تفوته مناسبة وطنية أو دينية إلا أكد إصراره على تحرير الأقصى والصلاة فيه ، يقول عبد الحكيم أبو جاموس في قصيدته " غاب الفارس البطل "[2]:

يا أيها الرمز ، هل من شعلة قبسٌ
يضيء في المسجد الأقصى ويشتعلُ؟!
تمضي وحيداً فما جندٌ تودعهم
ونحن بعدك قد ضلت بنا السبلُ

يا قائد الركب، من للقدس يغمرها
بالحب والعطف، حين الروح تنتقل
نبكي عليك ونرثي حالنا كمدًا
والحزن فيك جراح ليس تندملُ

استطاع ياسر عرفات أن ينتزع الحرية والكرامة لشعبه ليحظى في النهاية بالشهادة التي تمناها "شهيداً..شهيداً.. شهيداً".

كان الشهيد أبو عمار رمزاً للصمود ، يقول الشاعر عبد الله فنون في قصيدته " رمز الصمود " [3]":

قد صرت رمزاً للصمود بكل أرجاء الوجود
حتى بموتك قد صمدت مقاوماً موت القعود
وددت موتاً بالسلاح وفي المعارك كالجنود

قاد أبو عمار الثورة الفلسطينية كما قاد غيره من ثوار العالم بلادهم وشعوبهم نحو الحرية والاستقلال ، يقول الشاعر نزيه حسون في قصيدته " ملحمة الخلود" [4] :

تربع على العرش
فها أنا ألمحهم
عمار بن ياسر
والفارس المقداد
هاأنذا أبصرهم
صلاح الدين وطارق بن زياد
عبد الناصر .. جيفارا لومومبا
من كل فج سيدي جاءوك
جاءوا ليبايعوك

يتحدث الشاعر عن بطولة القائد " أبو عمار" ويعده قائداً فذاً متفرداً مغايراً للقادة والزعماء ، فقد بدا عاديًا في مأكله ومشربه وفي نومه ويقظته ، " فخالف القوانين المسلم بها ، فرآه البعض بصورة (سلبية) أحيانًا ، والبعض الآخر رآه بصورة (إيجابية) في أحيان أخرى. أما هو فبقى تلقائيًا ومن خلال المكرر والمستعاد في سلوكه ، بقى دومًا يسكب هذه النمطية التي يحتاجها الرجل الاستثنائي في (الصورة وإشكالياتها) ، بينما استمر إزميل الزمن يحفر كل يوم فوق وجنتيه أخاديد وتضاريس التجارب ، الممزوجة بالإنجازات ، والإخفاقات ، والإنكسارات، فغدا صاحب سحنة

صورة القائد "أبو عمار" في الشعر...

خبيرة بخفايا السياسات وكواليسها ، سحنة معتقة ، تعتيق الفضة بالنحاس مسكوبة ومسكونة في الهم الفلسطيني ..."[5]

ويلاحظ استحضار الشخصيات التاريخية ودلالالتها مثل : صلاح الدين وطارق بن زياد وعبد الناصر وجيفارا ولومومبا ، كما نلاحظ التناص مع الآية الكريمة " وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق "[6] وهذا التناص أضفى على النص دلالات فنية أسهمت في إثراء النص وزيادته عمقاً وتأثيراً.

كان الشهيد أبو عمار ذا خبرة وتجربة ، فقد عرف كل شيء ، يقول الشاعر أحمد بشير العيلة في قصيدته " طيور الرئيس "[7]:

هذا رئيسٌ
عرّف الكلمات والبلدان والأحجار
لم يبق على حجر إلا وعرّفه
عرّف الشطآن والطيران والأنهار
عرّف التوراة والإنجيل والرقيه
عرّف الخطوات والأصحاب والأعداء والصلوات
والأخبار والأذكار
عرّف كل شيء.. كل شيء

الشهيد ياسر عرفات قائدٌ حكيمٌ وذكيٌ ، قاد شعبه ، وواجه الشدائد بعز وصبر ، يقول الشاعر وجيه سالم في قصيدته " بان الضياء "[8]:

هذي السفينة قادها برويــة من بعد ما انكسرت لها دفات
شأن القيادة كنهها ومحكها عند الشدائد تعرف القادات

لقد تحدى الشهيد أبو عمار الصعاب وناضل حتى يتحقق النصر ويبزغ الفجر من وسط الظلمات الحالكة، يقول الشاعر حسين خليل حسين في قصيدته " كيف انتهى أبو عمار ؟!!" [9] :

لم يرهب الظلمات عبر دروبنا بل راح يمخر في دجى الظلماء
فوق الصخور وفي الشعاب وشوكها في همة الأبطال والنبلاء
حتى رأينا الفجر يرقص ضاحكاً وغدا اسمنا في الكون كالجوزاء

إن الشهيد "أبو عمار" ثائرٌ متحمسٌ منذ الطفولة تحمل أعباء النضال كثائر وقائد ، وقد تميز بالإباء والتحدي ، فهو عنوان للكفاح ومسيرة الشهداء الأبطال، يقول الشاعر محمد دسوقي في قصيدته " عظم المصاب وعمت الأرزاء "[10]:

مـــنذ الـــطفولة ثـــائرٌ متمرد وعلى جبينك كـــوكب وضاء
وحملت في نزق الشباب بيارقًا للثائريـــن يـــهابها الأعـــداء
شيم الأبـــي إذا الـــغيوم تلبدت أن لا يعـــيق مسيرة الجبناء
قدت الكفاح فصنعت منه رواية أضحى نسيج فصولِها الشهداءُ

سطّر الشهيد أبو عمار صفحات مشرقة في تاريخنا المعاصر جسدت معنى الخلود ، يقول الشاعر نزيه حسون في قصيدته " من غير مجدك سيدي "[11]:

يا قائدي الشهيد
يوشح التاريخ في شموخه
يجسد الخلود

تفاءل الشهيد أبو عمار بالنصر لأنه يملك الإرادة والعزيمة القوية التي لم يملكها أحد مثله، يقـول الشاعر رشيد الجشي في قصيدته " طائر الفينيق مات "[12] :

أُوتيت عزمًا.. ما رأيتُ مَثيلَهُ مع كُلِّ صُبْح يستزيدُ مَضَـــاءَ
أمضيتَ دهرَك باسمًا مُتيقـــنًا في نصر آتٍ يُنصفُ الضعفاءَ

كان الشهيد أبو عمار يكرر قوله:" إنني أرى النور في نهاية النفق المظلم" ، ويعيش مـــع شعبه آماله وآلامه ، يقول الشاعر سليم النفار في قصيدته " إيه فلسطيني "[13]:

يا سيّد الآلام والأحلام ..
مهلاً لم نصلْ
يا شمعةَ النفقِ الطويلْ
قُمْ خطوةً
أو خطوتينْ
إنّا على الأبواب..،
في دمنا نهزّ المستحيلْ
يا سيد الآلام والأحلام ..،
هل أنت القتيلْ؟!

إن الشاعر الفلسطيني المعاصر متفائل بالنصر ، رغم المأساة والمصاب الجلل ، وســـيد الآلام هو السيد المسيح ، والقيامة هنا لا تبتعد عن قيامة المسيح ، ويستدعي الشاعر هنا التـــراث الديني . والاستفهام في هذه الأسطر يخرج عن معناه الحقيقي إلى الإنكار والتعجب .فـــالنور فـــي نهاية النفق المظلم ، والنصر آت لا محالة ولن يفلح المتخاذلون والمتآمرون الذين باعوا ضمائرهم ، والتاريخ شاهد على مواقفهم المتخاذلة وخيانتهم لوطنهم.

صورة القائد "أبو عمار" في الشعر...

استطاع الشهيد ياسر عرفات أن يصنع الأمل والحلم من المستحيل ، يقول الشاعر سليم النفار في قصيدته " إيه فلسطيني "[14]

في لجة الليلْ
نشيد الفتح : أجراس الفتوحِ
والتجت الدنيا بأمواجٍ،
فقالوا :
من ذا الذي يهوى سكون الليل،
ريحاً في الركون؟
قالت أسود الفتح :
ياسرنا،
وشارتنا على الأيام حطته،
وإن نامتْ..

لقد تعانقت الثورة الفلسطينية التي قادها أبو عمار مع حركات التحرر العالمية وقد حظي بمكانة خاصة بفضل ما تمتع به من حكمة وحنكة وقيادة رشيدة ونال إعجاب العالم الحر، يقول الشاعر وجيه سالم في قصيدته "بان الضياء" [15]:

الشعب شعبك مؤمن بقيادة قد بوركت لرئيسها الخطواتُ
أحرارُ عالمنا كذا أشرافُهم عرفوك حقاً ، فانحنت هاماتُ

وكان للشهيد أبي عمار مكانة خاصة في قلوب أبناء شعبه وفي قلوب العالمين العربي والإسلامي والدول الصديقة ، فودعته فرنسا ومصر وأبناء شعبه بالحب والود ، يقول عبد الحكيم أبو جاموس في قصيدته " غاب الفارس البطل"[16]:

وفي (فرنسا) تهادى النعشُ في شَرَفٍ
تُتلى عليه مراسيُم الدُّجى الأُولُ

.....

وفي (الكِنانة) قد أوتيت مكرمةً
تليقُ فيك فنعمَ القومُ ما فَعلوا

.....

هلت عليكَ جموع الثائرين ضحى
كيما تزفُّكَ ، طاب المرقدُ النُّزلُ
هبطتَ في ساحة الأحرارِ منتصرًا

على الحصار، فرفقاً أيها الأجلُ
وكنت فَوق عبُاب الشعب مرتفعاً
ترنو إلى المجد ، في العلياء تبتهلُ
غطّوا (المقاطعةَ) الثّكلى وأسطُحَها
كأنهم مطرٌ من مُزْنَةٍ هطلَوا

قاد الشهيد أبو عمار أبناء شعبه إلى بر الأمان في ظروف حالكة السواد ومحن شديدة ، فكان مثالاً للوفاء والعطاء ، و شجاعاً متألقاً في سماء المجد والكفاح في الوقت الذي يسقط فيه المتخاذلون والجبناء. ووَدّع الشهيد ياسر عرفات بالحفاوة والتكريم من أبناء شعبه المناضلين المخلصين فكان مبعث فخر واعتزاز.

حمل الشهيد أبو عمار آمال شعبه وتحدى العدو بشجاعته ، فلم يعبأ بالحصار ، وكان في (المقاطعة) أسداً في عرينه في الوقت الذي تمترس فيه العدو ، واتخذ مواقعه خلف ترسانته العسكرية ، يقول الشاعر نزيه حسون في قصيدته " ملحمة الخلود "[17]:

يا أيها البطل المعبأ بالعواصف والبلابل والورود
يا أيها الفذ العنيد
قد حاصروك فكنت أنت حصارهم
وهم الذين تقرفصوا خلف القيود
يا سيدي أسعف فمي
حتى أجسد فيك
ملحمة ، الخلود!!!

عجز الشاعر عن التعبير عن الملاحم البطولية التي سطرها أبو عمار ، وتمنى أن يسعفه التعبير فيجسد أسطورة الشهيد ياسر عرفات.

إن الاستشهاد والموت بعزة هو السبيل لصنع الحياة والمستقبل المشرق ، يقول نزيه حسون في القصيدة نفسها[18]:

عرفات .. يا عرفات..
عرفات أسعف ريشتي
حتى أوشح فيك بعض قصائدي
حتى أرتل فيك مزمور الثبات ..
عرفات أسعفني لأنقش في ضريحك صرختي
أنت الذي أتقنت المعجزات

عرفات أسعفني لأعلن صرختي:

لا لم تمت!! لا لم تمت

ولا تخلو الأسطر من رمزية، استطاع الشاعر من خلالها ترميز شخصية الزعيم عرفات، وجعلها أقرب إلى الأسطورة، فهو رغم موته لم يمت، ويظهر وكأنه قد بعث من جديد، فالشاعر أسطر الشخصية وارتفع بها إلى ما يوازي شخصية المسيح أو ما شابه ذلك.

كان عطاء ياسر عرفات متواصلاً منذ نشأته صغيراً ويافعاً حتى رحيله ، يقول رشيد الجشي في قصيدته " طائر الفينيق "[19]:

مرّت عقودٌ أقبلَت وترَحّلتْ عنا وياسرُ لم يكفَّ عطاءَ

يترك نزالاً كي يروح لغيرِه ما كان ياسرُ يرهبُ الهيجاءَ

نزل الوغى غُرا صغيرا يافعاً ما كان يهوى وداعةً..ورخاءَ

كان الشهيد أبو عمار قلب فلسطين النابض ، فما أكثر شجون الشعب الفلسطيني !! ، يقول الشاعر سليم النفار في قصيدته " إيه فلسطيني"[20]:

إيهِ فلسطينُ..

كم سوفَ نبكي:

قلبنا

إن جُنّتِ الأشواقُ فينا والحنينُ!!

ولنا على الأيام،

شأنٌ في الشجونِ

كانت علاقة الشهيد أبي عمار بشعبه علاقة قوية ، فقد هب الشعب الفلسطيني مدافعاً عن أبي عمار عندما شدد العدو الإسرائيلي حصاره الهمجي على المقاطعة ، يقول الشاعر حسين خليل في قصيدته "كيف انتهى أبو عمار!!؟"[21]:

الشعب ..كل الشعب هب مدافعاً عن ياسر بمحبة وولاء

في القدس..في نابلس في حيفا وفي ودياننا وجبالنا الشماء

في طولكرم والخليل وغزة في السبع في رفح وفي البيداء

بكى الوطن الشهيد ياسر عرفات يقول الشاعر نزيه حسون في قصيدته "ملحمة الخلود"[22]:

فيا أبا عمار

يا أيها "الختيار"

يبكيك في بلادنا الأطفال والكبار

نساؤنا تبكيك..رياحنا تبكيك
تبكيك في بلادنا مواكب الأشجار
وتخرج المياه من أنهارنا
لنملأ الأنهار من دموعنا
فتفيض من دموعنا الأنهار

خيم الحزن والصمت على الشعب الفلسطيني بفقده أبا عمار ، فبكاه الأطفال والكبار والليل والنهار والنساء ومواكب الأشجار.

ومدّ الشهيد ياسر عرفات يد العون والمساعدة والدعم المادي والمعنوي للأرامل واليتامى وأبناء الشهداء ، وكان راعياً للحلم الفلسطيني ، والثوابت الوطنية ، يقول الشاعر على أحمد العملة في قصيدته " في رحمة الله يا سيدي أبو عمار"[23]:

أنت للأرامل واليتامى والشهيد؟
من يزهر بالأحلام فينا يوم عيد ؟ يا سيدي
بالأمس كنت راعياً
ترعى الثوابت والمواطن والخيام
ما هنت يوماً سيدي رغم الحصار

وعبر الشاعر الفلسطيني المعاصر عن مكانة أبي عمار ومنزلته الخاصة فكان بمثابة المنارة تشد إليه الأنظار ، وما كوفية أبي عمار إلا رمز من رموز الوطن يعانقه تراث الآباء والأجداد ، يقول الشاعر على أحمد العملة في القصيدة نفسها [24]:

كنتم وما زلتم منار
أنت الذي علمتنا حب الديار
كوفية وجهتها صوب السماء
رمزاً يعانقه الآباء

وأبو عمار مدرسة عسكرية وسياسية ، فقد تعلمنا منه دروساً كثيرة ، كان بطلاً في السلام كما كان بطلاً في الحرب ، تعلمنا منه معنى الصمود ، ومعنى القتال ، وكيف نتمسك بالثوابت الوطنية والعهود ، وألا نفرط في حق من حقوق الشعب الفلسطيني ، يقول الشاعر على أحمد العملة [25]:

بطل البداية والعواصف والسلام
يا رمزنا أنت الإمام
أنت الذي علمتنا كيف الصمود

صورة القائد "أبو عمار" في الشعر...

أنت الذي علمتنا كيف الحروب
أنت الثوابت و العهود

رعى الشهيد أبو عمار الصغير وقدّم النصح للكبير ، وواجه الشدائد بقوة وعزم وإرادة قويـــة ، يقول الشاعر رشيد الجشي في قصيدته " طائر الفينيق مات "[26]:

ما كان ياسرُ ..قائداً مـــا بيننا هو كان والداً ..يـــحضن الأبناءَ
يرعى الصغيرَ لكي يَشُبّ أمامَهُ أنـــفاً عَصِيّاً يَنْشُـــــدُ الهيـــجاءَ
ويلي الكبير بنصحه ..ورشـــاده يـــدفعْ بـــه..كـــي يستزيَد إباءَ

ويتضح البعد الإنساني في شخصية الشهيد "أبو عمار" ، لذا أحبه الصغير والكبير ، الطفل والكهل ، فكم من مرةٍ قبّل جريحاً أو شهيداً أو احتضن طفلاً ، ورسم على جبينه قبلة حانية ، فكان بمثابة الأب الودود والعطوف ، أحبه أبناء شعبه ، وأصبح جزءاً لا يتجـــزأ مـــن وعـــي الـــشعب الفلسطيني.

وحرص الشهيد أبو عمار على وحدة الصف العربي و الفلسطيني ، وكان سياسياً محنكًا ، فكان " مناوراً ماهراً " فجمع بين الرفض والقبول ليترك الفضاءات مفتوحة دون اختناق أمام العمل الوطني الفلسطيني ، فرفض التطرف في السياسة لصالح نزعة وســطية ومرونـــة فـــي التكتيـــك السياسي وفي التلاقي مع القوى الأخرى من أجل نسج التحالفات في عملية يتناغم فيهـــا مـــا هـــو تكتيكي وسياسي مع ما هو استراتيجي وأيديولوجي ، وإن كان يتخللها خيط رفيع ، فاكتسب بجدارة صفة القائد الأكثر اعتدالاً ، والأرجح عقلاً ، والأكثر سعياً لوقف التدهور ، والأكثر بحثاً عن حلول [27]".

و الشهيد أبو عمار نموذج للكبرياء في وجه العدو الذي يمتلك القـــوة ، ولكـــن الـــشعب الفلسطيني يمتلك الإرادة القوية ، يقول أحمد دحبور في قصيدته " صاحب البيت"[28]:

خمسٌ وسبعون؟ عمر الكبرياء فهل يحاصرون زماناً جَدُّه الأبدُ؟
ولست أنكر للنـــذل الجـــبان يـــداً لكن شعبك قلب خافق ويدُ
هذه فلسطينُ ، لا لهوٌ ولا لعـــبٌ ومن يجرّب فإن النار تتقدُ

عايش الشهيد " أبو عمار " القضية الفلسطينية وكفاح الشعب الفلسطيني عبـــر مـــسيرته النضالية الطويلة ، إلى أن غادر هذه الدنيا فلقي ربه ليغدو من القادة والزعمـــاء التـــاريخيين فـــي تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر.

رحل الشهيد الرمز أبو عمار بعد أن خلّف حركة وطنية قوية كان حريصاً كل الحـــرص على وحدتها وانسجامها وتآلفها ، فصنع الحب والتسامح بين أبناء شـــعبه مـــسلمين ومـــسيحيين ، وأخذت القضية الفلسطينية تحتل مكان الصدارة على الساحة الدولية.

وإذا كان أبو عمار قد ووري الثرى في مقره في المقاطعة في مدينة رام الله فإن أبا عمار الثورة والقضية والمسيرة سيبقى حياً في ذاكرة ووجدان الشعب الفلسطيني، ويكفي فخراً أن مشهد وداع أبي عمار الأخير مشهد وداع أسطوري فهو شهيد الشهداء بلا منازع.

حقاً إن البيان ليعجز عن رثاء أبي عمار فمآثره ومناقبه كثيرة لا تحصى، يقول الشاعر رشيد الجشي في قصيدته " طائر الفينيق مات "[29] :

لو رَمْتُ أكتبُ خطبةً في ياسر ... من أين أبدا خطبتي العصماءَ

هو نِصْفُ قرنٍ من إباء وعزةٍ ... هاتوا مِداداً.. يملأ البيضاءَ.!!

أينَ البراعُ لكي يجودَ لساعةٍ ... ويفي عظيماً جاوزَ العظماءَ

أين البيانُ لكي أغوصَ بسعبّه ... وأجيبء ياسر دامعاً .. رثّاء.؟

هيهات شعري أن يحيط بقائدملأ السماع فضائلاً وفِداءَ

هيهات أن يكفي يراعي رائداً ... جرع المرار ولم يكف عطاءَ

ويرى الشاعر عمر محمود شلايل في قصيدته " الرمز الخالد" أن استشهاد أبي عمار وموته لم يكن شيئاً عادياً ، فقد يموت الناس أحياناً ويرحلون عن هذه الدنيا ، أما استشهاد ياسر عرفات وموته فكان بمثابة تاريخ حافل بالعطاء والتضحيات ، وكان استشهاده " أسفارًا مقدسة معلقة على جدراننا تذكرنا بقوافل الشهداء"[30] فيقول:

نموتُ كما يموت الناسُ أحياناً وننتقلُ..

وأحياناً يكون الموت تاريخاً ، وأسفارًا معلقةً

على جدراننا تبقى تُذكّرنا ،

بما أعطتْ قوافلُنا،

لها عشنا يُضيء الموتُ مَسْرحَنَا

تكاد بروحها بين اليدين معالم تصلُ...

وإذا كان الشهيد ياسر عرفات قد ووري الثرى فهو باق بيننا على مر السنين في القلوب، وفي الحنين ، وفي كل رمز من رموز الوطن في التين والزيتون وفي جميع السذكريات ، يقول الشاعر علي أحمد العملة في قصيدته " في رحمة الله يا سيدي أبو عمار "[31]:

ها أنت باقٍ بيننا

ها أنتَ فينا سيدي طُولَ السنين

ها أنت فينا

في القلوبِ وفي الحنين

في التينِ والزيتونِ باقٍ

في حليبِ الأمهات
في التين والزيتون باقٍ
في جميع الذكرياتْ

ولا يخفى ما في النص من دلالة التقديس للشهيد من خلال مباركة التين والزيتون كشجرتين ذكرتا في القرآن الكريم ، إذ نجد علاقة تناص بين النص الشعري والنص القرآني المقدس وبخاصة في سورة " التين " ، في قوله تعالى :" والتين والزيتون"[32]

إن الوفاء لروح الشهيد ياسر عرفات إنما يكون بالوفاء والإخلاص والالتزام بما سقط دونه أبو عمار ، ورعاية الحلم الفلسطيني ، والدفاع عن الثوابت الوطنية ، وحماية الوحدة الوطنية ، والحرص عليها.

ويقول الشاعر أحمد دحبور في قصيدته " وداع الرجل الكبير " معبراً عن وداعه للشهيد أبي عمار فيقول[33] :

لم يَدْعُني صوت المُعزّي
بل أتيت لأنحني في حضرة الأيام ،
وهي تصير تاريخ الفلسطيني
والتاريخ تصنعه فيعبر رافعاً كبر التحية من أمامكْ.

حقاً كان الشهيد أبو عمار صانع التاريخ الفلسطيني ، وكان مؤمناً بأن قدس الأقداس ستحرر وأن الله تعالى سينصر جنده ، بالرغم من الحصار الشديد الذي فرضته قوات الاحتلال الإسرائيلي على الرئيس ، وعلى مدينة القدس.

وعبر الأسير الفلسطيني عن حبه ووفائه وإخلاصه للشهيد " أبو عمار " يقول الشاعر الأسير غسان الحجاوي من سجن "مجدو"[34]:

يا أشرف الناس صابراً ومرابطاً	كالصخر أنت به الأمواج تلتطمُ
أنت البطولة في أبهى مناظرها	حماك اللهُ بك الأعداء تنهزمُ
يا قرةَ العينِ في أيامنا فقدت	تلك المروءة في الحكام والهممُ
الفاتحون اثنان أنت ثالثهم	أنت النضال أنت الرمز والعلمُ
صلاح الدين بايعه أجدادنا	وبايعناك ونحن للبيعة نحترمُ

كان الشهيد أبو عمار رجلاً شريفاً صابراً ، وبطلاً قوياً في مواجهة الشدائد ، وكان شهماً في وقت عزت فيه المروءة ، وهو ثالث الفاتحين صلاح الدين الأيوبي وعمر بن الخطاب.

ويؤكد الشاعر وجيه سالم هذه المناقب الحميدة التي عرف بها الشهيد أبو عمار فيقول في قصيدته " بان الضياء "[35]:

بان الضياء وغيبت ظلمات وسما شريـفاً شامخاً عرفات
وبدا نـقياً طـاهراً أثـوابه وقد انجلت وتبـددت شبهات
يداه بيضاوان لم يمسسـهما سوء ولم توهنهما الأزمـات

وتشتمل الأبيات على تناص مع القرآن الكريم ، فقد ذكر الشاعر شخصية موسى عليه السلام، واعتمد على النص القرآني في تشكيل صورة الزعيم عرفات في نقائه وطهارته وصلابته أيضاً في قوله تعالى:" واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى"[36]

سيبقى الشهيد أبو عمار رمزاً للقائد المجاهد الذي يقود شعبه إلى النصر في مواجهة أعتى الشدائد والمصاعب ، يقول عمر شلايل في قصيدته " الرمز الخالد"[37]:

أنا غنيتُ من زمن :
وتبقى دائماً فينا وحادينا،
وتاجاً قد صنعناه ،
من الجرح الذي يُمسي،
على الجرح الذي فينا ..
فإن ضاقتْ بنا أرضٌ،
فأنتَ الأرضُ تكفينا..

من البدهيّ بعد هذا كله أن يتنافس الشعراء ويتسابقون في رثاء الشهيد أبي عمار -يرحمه الله – ويسكنه فسيح جناته.

صورة الشهيد القائد " أبو عمار " في الشعر الفلسطيني المعاصر"دراسة فنية "

أولاً : الصورة الشعرية :

تُعد الصورة الشعرية هي عنصر مهم في الصياغة الشعرية يعبر الشاعر من خلالها عن فكره وعاطفته تعبيراً فنياً مؤثراً ، ويرى د. إحسان عباس أن الصورة الشعرية :" تعبير عن نفسية الشاعر ، وإنها تشبه الصور التي تتراءى في الأحلام " [38]

أنماط الصورة الشعرية :

1- الصورة المفردة:

بنى الشاعر الفلسطيني المعاصر الصورة المفردة عن طريق تبادل المدركات من خلال التجسيد والتشخيص والتجريد وعن طريق تراسل الحواس أو بواسطة التشبيه والوصف المباشر، ومن ذلك قول عبد الحكيم أبو جاموس في قصيدته " غاب الفارس البطل " [39]

تقطّعت من نياط القلب أوردةٌ
يومَ الرحيل وغاب الفارس البطلُ

صورة القائد "أبو عمار" في الشعر...

يقدم الشاعر صورة للمرارة التي عاشها الشعب الفلسطيني يوم رحيل الشهيد القائد " أبو عمار " ، فقلوب الشعب الفلسطيني تنزف دماء وتعتصر ألماً.

ومن الصور المفردة قول الشاعر نزيه حسون في قصيدته " رثاء الرئيس الراحل ياسر عرفات " [40]: .

يا سيدي الأصيل

القدس تخرج كي تودع وجهها

بنى الشاعر الصورة المفردة عن طريق التشخيص ، فالقدس تخرج لتودع قائدها ورمزها أبا عمار.

2- الصورة المركبة :

وهي مجموعة من الصور المفردة التي تأتلف فتقدم لنا إحساساً معيناً أو عاطفة أو نقل فكرة على درجة من التعقيد لا تستطيع الصورة البسيطة أن تنقلها وتعبر عنها.

وتتشكل الصورة المركبة عن طريق تراكم الصورة المفردة أو تكاملها ، ومن ذلك قول الشاعر حسين خليل حسين في قصيدته " كيف انتهى أبو عمار":[41]

كيف انتهى والشعب يهتف باسمه في كل صبح ناضر ومساء؟

.....

لم ينته البطل الذي قد قادنا بكرامة وشجاعة ومضاء

لم ينته البطل الذي قد كان في درب النضال أبا لكل فدائي

لم ينته البطل الذي أضحى لنا رمزاً حبيباً ساهر الأضواء

.....

حتى رأينا الفجر يرقص ضاحكاً وغدا اسمنا في الكون كالجوزاء

إن الزعيم ولو توارى في الثرى جثمانه.. فالروح في العلياء

يقدم لنا الشاعر حسين خليل حسين مجموعة من الصور المفردة المتآزرة، التي تقدم لنا في النهاية صورة مركبة واحدة ، وهي صورة حضور الشهيد أبي عمار، فالصورة الأولى : صورة الشعب الفلسطيني ، وهو يهتف باسمه في كل صباح ومساء ، والصورة الثانية : صورة خروج الشعب الفلسطيني من أجله في عزة وإباء ، والصورة الثالثة : صورة الشعب الذي هب مدافعاً عن ياسر عرفات ، يعبر عن حبه وولائه له ، في كل مكان من أرجاء فلسطين ، والصورة الرابعة : صورة رفض الشاعر فكرة غياب أبي عمار ، فقد كان أباً حنوناً لكل فدائي في ساحات النضال والكفاح ، وأصبح رمزاً متألقاً وحبيباً للشعب الفلسطيني ، والصورة الخامسة: صورة لشجاعة أبي عمار ، فقد شق دربه وكفاحه في ظروف صعبة حالكة السواد ، وسلك طرقاً وشعاباً

وعرة ، لعق مرارة الألم ، وسار بهمة الأبطال وعزيمة الشجعان ، والصورة السادسة : صورة الفجر يرقص ضاحكاً ، وهذا الفجر هو الحلم الفلسطيني ، وإقامة الدولة الفلسطينية ، ونقل القضية الفلسطينية إلى الساحة الدولية ، حتى غدا اسم فلسطين في الكون كالجوزاء في تألقه ورفعته، والصورة السابعة التي يختتم بها الشاعر قصيدته هي : صورة جثمان الرئيس الذي ووري الثرى، وصعود روحه إلى بارئها ، ونلاحظ أن الشاعر قد عمد إلى التكرار " لم ينته البطل " للتأكيد على حضور الزعيم عرفات حتى بعد وفاته .

ومن الصور المركبة قول الشاعر رشيد الجشي في قصيدته " طائر الفينيق مات: "[42]

كفَّ الكلامَ وأسكت الضوضاءَ وكبا الإباءُ .. فزلزلَ الأرجاءَ

والنجمُ لوّن بالسحيم سناءه ما عدنا نلمح وجهه الوضاءَ

والليل أسدل ساتراً من أدمع ملأ الحداقَ.. وأغرق الغبراءَ

والفجرُ أمسكَ في المدى مترددًا عزم الرجوعَ فلملمَ الأضواءَ

وشقائق النعمان أحنت رأسها فوق اللحود ونادت الشهداءَ

حتى يهبوا من رقاد ويسألوا عما جرى في حيّنا.. الأبناءَ

والقدسُ وَجّلى هرولت بدروبها ركضت حفيّةً تائهاً بلهاء

نشدت أبا عمار، ..جاءت دارَه نادت عليه فما أجابَ نداء

يقدم الشاعر مجموعة من الصور المفردة المتآزرة ، التي تقدم لنا صورة مركبة واحدة، وهي صورة للحزن والمرارة والألم التي ألقت بظلالها على الشعب الفلسطيني بل تجاوزت هذه المأساة البشر إلى الطبيعة فمزج الشاعر الطبيعة بالنفس للتعبير عن هذا المشهد الحزين ، فالصورة الأولى هي صورة الوجوم والصمت الرهيب الذي عم الكون ، وصورة الإباء الذي " كبا فزلزل الأرجاء " ، والصورة الثانية هي صورة النجوم التي فقدت بريقها " والنجم لون بالسحيم سناءه " ، والصورة الثالثة : صورة الليل الحزين ، الذي " أسدل ساتراً من أدمع/ ملأ الحداق .. وأغرق الغبراء".. والصورة الرابعة صورة خيوط الفجر وما تبقى من أمل " متردداً عزم الرجوع فلملم الأضواء " ، والصورة الخامسة : شقائق النعمان التي أحنت رأسها فوق اللحود ونادت الشهداء" ، أي التشبث بالأمل والدعوة لمواصلة الكفاح والنضال ، والصورة السادسة : صورة الوجوم والدهشة التي عمت دروب القدس وشوارعها تناشد أبا عمار وتناديه فلم يجبها لأنه فارق هذه الدنيا، فهذه الصور المفردة تتآزر فتشكل الصورة المركبة.

هكذا قدم الشاعر صورة مركبة من خلال تكامل هذا الحشد من الصور المفردة.

3- الصورة الكلية :

والوحدة العضوية للقصيدة هي وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي ، ففي الوحدة العضوية يتحقق الترابط الفكري والشعوري ، فيتشكل صورة كلية أو وحدة عضوية .

بنى الشاعر الفلسطيني المعاصر صوره الكلية إما عن طريق : البناء المقطعي ، أو البناء الدرامي (القصصي أو الحواري) أو البناء الدائري ، وسنكتفي ببناء الصورة الكلية عن طريق البناء الدائري ، ومن ذلك قصيدة بلال الفرح[43] ، نكتفي بكتابة المقطع الأول ؛ نظراً لطولها وضيق المقام يقول فيها:

سلامٌ عليكَ..
وأنت تغادرُ هذا الوجودَ
وتترك الرملَ للعاصفهْ
.....
سلامٌ عليكَ.. تشظّى نثارا،
دمارا،
وتغرب في لحظة خاطفهْ وتمضي
سلامٌ على رايةٍ للرحيل.
على دمعةٍ فوق خد النخيل
سلام على وجع في الجليل،
سلام على الحسرة الجارفهْ
.....
سلام عليك..

في هذا النص صورة كلية استخدم فيها الشاعر البناء الدائري ، أي أن يستهل الشاعر قصيدته بفكرة محددة ، أو موقف ما ، أو لحظة شعورية ، ثم يعود مرة أخرى إلى نفس الفكرة ، أو الموقف ، أو اللحظة الشعورية ، لينهي بها قصيدته ، ويتم بناء الصورة الكلية من خلال البناءْ الدائري بوسائل مختلفة ، فقد يكرر الشاعر نفس الفكرة أو اللحظة الشعورية التي استهل بها قصيدته ، أو يكرر نفس الأبيات التي ابتدأ بها.

بدأ الشاعر قصيدته وختمها بقوله :"سلام عليك " ، وقدم صورة للشهيد أبي عمار وقد غادر هذه الدنيا ، وترك الشعب الفلسطيني وحيدًا ، افتقد زعيمه الأبي الشجاع المعطاء ، وقد أشار الشاعر إلى أبعاد أسطورية للبطل الشهيد عرفات وبخاصة تشظيه نثاراً دماراً في قلب العاصفة، ثم يقدم صورة أخرى لرحيل وغياب أبي عمار فجأة " في لحظة خاطفة " ، فالسلام عليك يا أبا عمار،

سلام عليك وأنت ترحل عنا في عزة وإباء ، والشاعر في إشارته إلى " وجع في الجليل" لم يقصد البعد الجغرافي للمكان / الجليل ، وإنما أراد أن يحمل النص دلالات دينية توحي بمأساة شعبه وفقد زعيمه فقداً مأساوياً تذكيراً بما حدث للمسيح الذي ولد في بيت لحم وصلب في الجليل ، كما تقول المعتقدات الإنجيلية. ، ثم يقدم صورة أخرى للشهيد أبي عمار وقد غفا قليلاً فابتعد عنا ولكنه سيظل جميلاً ، " ويغدو الشذى في اغتراب السفينة" ، سيذكره الفلسطينيون في كل مكان ، و"يغدو نخيلاً رشيق الظلال" ، ومثالاً للكبرياء والنخوة ، " ويغدو وعوداً في أكف الغمام" ، مبشراً بالنصر ، ثم يقدم صورة أخرى للشهيد أبي عمار وهو غافٍ يهرب من ذكريات أليمة ، لعله ينسى في سكرة الموت ويمضى كما عهدناه " كما الماء تمضي/شفيفاً ..شفيفاً " ويقدم صورة أخرى لاستشهاد أبي عمار فجأة بعد معاناة طويلة وكفاح مرير ، ثم يقدم صورة أخرى : للشهيد أبي عمار وما خلفه استشهاده من مرارة وألم ، ويقدم صورة أخرى للعرب المتخاذلين الذي تخلوا عنه وقت الضيق والشدة والحصار ، ثم يقدم صورة أخرى للشهيد أبي عمار وقد غاب فجأة بعد أن بلّغ الرسالة ، ومضى غريباً ويختم هذه الصورة كما بدأها بقوله :" سلام عليك".

ومن الصور الكلية قصيدة " وداع الرجل الكبير " [44] للشاعر أحمد دحبور –نكتفي بكتابة بعض سطورها –يقول فيها :

اليوم ، والنقش الفلسطيني ضوء في رخامكْ!
اليوم ، والشمس الوفية ،
منذ نصف الليل ، أقرب ما تكون إلى مقامكْ
ما جئت أقترف العزاءَ.
ولن تواسيني ابتسامتك الندية،
والآن حين تموت في المنفى ،
يعيدك قلب شعبك،
فانتفض لتقوم حياً
افتح دفاترهم لتحاسبهم ، وقل لمسيرة الأيام هيّا

بنى الشاعر صورة كلية لمشهد وداع الشهيد " أبو عمار" عن طريق البناء الدرامي ، فالصورة الأولى هي صورة " النقش الفلسطيني " الذي كان بمثابة ضوء في رخام ضريح "أبو عمار" ، وفي هذا إشارة إلى حمل أبي عمار لقضيته ، والصورة الثانية هي صورة الشمس الوفية منذ نصف الليل " والتي كانت أقرب ما تكون إلى مقام أبي عمار ، وفي هذا إشارة إلى انكسار الزمان.

ويقدم الشاعر مجموعة من الصور حتى يصل إلى الصورة الأخيرة ، وهي صورة موت أبي عمار في المنفى وإعادته إلى وطنه ، ويدعوه الشاعر إلى أن ينتفض ويقوم حياً ، فمن جسده الميت تنبعث الحياة السعيدة لشعبه ، ويقدم الشاعر صورة أخرى تدل على التواصل بين القائد وشعبه فيقول :" يعيدك قلب شعبك" مؤكداً التلاحم بين القائد وشعبه .

ثانياً : الرمز :

الرمز هو وسيلة فنية يستخدمها الشاعر لنقل فكرته عن طريق الإيحاء والتلميح بالمضمون بدلاً من المباشرة والتصريح ، ويرى د. إحسان عباس أن الرمز الشعري هو : " الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري مع اعتبار المعنى الظاهري مقصوداً أيضاً ."[45]

والجدير بالذكر أنه إذا كان الرمز هو إحساس الشاعر بالتشابه بين شيئين إحساساً ذاتياً ، فليس من الضروري أن يكون هناك تشابه بين الرمز والمرموز ، وهذا ما يراه الدكتور محمد فتوح أحمد " ذلك أن الرمز بعد اقتطاعه من حقل الواقع يغدو فكرة مجردة ،ومن هنا لا يشترط التشابه الحسي بين الرمز والمرموز ، بل العبرة بالواقع المتشابه الذي يجمع بينهما كما يحسه المتلقي "[46]

مصادر الرمز :

من خلال استقرائي لقصائد رثاء الزعيم القائد ياسر عرفات لاحظت أن الشاعر الفلسطيني المعاصر قد استمد رموزه من عناصر مختلفة ، فبعضها مستمد من الطبيعة مثل : الريح –الشمس–الظل–الجبل–الصحاري–العاصفة–التلال. وبعض هذه الرموز مستمد من مدن مختلفة مثل : القدس – الخليل–الجليل ورموز أخرى مأخوذة عن الإنسان ونعوته: الفارس –الطفل– قديس–الخلافة–روم–الأنصار–كنعان. ورموز منتزعة من الكروم والأشجار مثل : زيتون – سنبلة–النخيل ، وأخرى مستمدة من الحيوانات المختلفة مثل:الكلاب–الهزبر– خيل(خيول) إبل – الغزالة ، ورموز أخرى مستمدة من الطيور المختلفة مثل:حمام –العقاب–طائر(طيور)–البوم– الغربان. وغير ذلك من أسماء بعض الأشياء المادية مثل:كرسي–الكوفية–السفينة.

يختلف الرمز من شاعر إلى آخر ، فللرمز أشكاله المتعددة والمتنوعة ، " وطبعي أن الرمز إذا تجمد عند مغزى بعينه فقد قيمته الشعرية ، ومن ثم كان دور الرمز المعين في كل قصيدة يختلف نوعاً من الاختلاف عن دوره في قصيدة أخرى سواء أكانت للشاعر نفسه أم لشاعر غيره ، لكن الطريف هو استخدام الشاعر للرمز في اتجاه معارض للاتجاه الذي اتخذه على يد شاعر آخر"[47].

ويختلف الرمز باختلاف التجربة الشعرية في القصيدة واختلاف المضمون ، ذلك أن " الرمز وثيق الصلة بالتجربة الشعرية والموقف الشعوري "[48] ، الذي يختلف التعبير عنه من شاعر

إلى آخر ، ويأتي هذا الاختلاف أيضاً من اختلاف مصادر الرمز لدى كل شاعر. ومصادر الرمز إما ذاتية أو تراثية جماعية : دينية أو تاريخية أو أدبية أو أسطورية.

أشكال الرمز :

أولاً : الرمز المفرد :

وظف الشعراء الفلسطينيون الرمز المفرد للتعبير عن معان مختلفة ، منها : ما يرتبط بمعاني الوطن والثورة والفداء والعدو ، وغير ذلك من المعاني ، واعتمدوا في بناء قصائدهم على الرمز المفرد الذي استمدوا عناصره ، إما من الطبيعة ، وإما من النبات أو الحيوان أو الإنسان ، أو الأماكن والأشياء التي يمكن أن تحمل رموزاً معينة.

ففي قصيدة "كلمات في القائد الرمز"[49] ، يستخدم الشاعر زياد مبسلط الكوفية رمزاً للهوية الفلسطينية والتراث والشخصية الفلسطينية، فيقول :

الكوفية ما رحلت

ومن الرمز المفرد قول الشاعر على أحمد العملة في قصيدته " في رحمة الله يا سيدي أبو عمار "[50]:

يا طائر الفينيق حلق في سماء الخلد

في عبق الجنان

في رحمة الله

فطائر الفينيق الأسطوري الذي بعث من الرماد رمز للشهيد " أبو عمار" فموته بعث لقضية شعبه التي عاش واستشهد من أجلها.

ثانياً : الرمز المركب :

هو المعنى الرمزي الذي نلمحه وراء المستوى الدلالي المباشر للكلمات الرامزة ، وتقدم لنا الكلمات مستويين من التعبير ، المعنى المباشر والمعنى الرمزي من خلال مجموعة من الصور التي تقدمها الكلمات الرامزة ، ونحس المعنى الرمزي خلف المستوى الدلالي المباشر.

في قصيدة " يا آل ياسر صبرا" [51] يقدم لنا الشاعر أبو الأمجد (لم يذكر اسمه في المصدر) صورة رمزية مركبة لاستشهاد أبي عمار ودعوة الشعب الفلسطيني "آل ياسر" إلى التحلي بالصبر وتجاوز المحنة فيقول :

أداء ذلك الذي يكمن فيك

أم أنه كهولة

حقيقة قررت أن ترديك؟!

تعالى باسمك العز

قهرت بصبرك الصبر

أما كان لثورات العشق وساطة تنجيك؟
وأعداء شمس تمادوا
أرضاً..جواً..
أياديهم قررت شهادة ترضيك
بالسم اغتالوك جسداً
وما اغتالوا الروح فيك
فعزاء آل ياسر صبرا
فيقينهم جنة تأويك

لا يخلو هذا النص من نثرية أضعفت البناء الفني ونأت به عن العمق والقوة والدلالة المحكمة.

يقدم لنا الشاعر قصيدته من خلال البناء الدرامي ، ويتلاءم هذا الشكل الدرامي مع مأساة الشعب الفلسطيني، في الصورة الأولى يتساءل الشاعر عما حل بالشهيد ياسر عرفات ، هل هو بسبب المرض؟ أم أنه بسبب تقدم العمر؟ ، أم أن هناك يدا مدبرة قررت في حقيقة الأمر قتله؟ والصورة الثانية : صورة لشموخ أبي عمار وكبريائه ، وصبره ، وقدرته على قهر الصبر ، وفي الصورة الثالثة يتساءل الشاعر :" أما كان لثورات العشق وساطة تنجيك" رمز للأنظمة العربية التي تدعي الوطنية وتكتفي برفع الشعارات البراقة. ثم يقدم صورة أخرى لليهود ، أعداء الحرية "أعداء شمس" الذين حاولوا قتله وقصفوا المقاطعة جواً وبراً ، وإذا كان اليهود قد نجحوا في اغتيال جسد أبي عمار فإنهم لن يغتالوا تاريخه النضالي الحافل بالصمود والشجاعة ، وفي الصورة الأخيرة يُعزّى الشاعر الشعب الفلسطيني (آل ياسر) ويدعوهم إلى الصبر ، وعزاؤهم أن الشهيد أبا عُمار سيكون إن شاء الله في جنات الخلد والنعيم، وفي النص تناص مع نص تراثي " صبراً آل ياسر ".

ثالثاً : الرمز الكلي :

هو المعني الإيحائي الرمزي الذي يستشف من تكامل صور القصيدة وعناصرها الفنية ، ونجد في القصيدة التي تقدم لنا رمزاً كلياً ، رموزاً مفردة أو رموزاً مركبة.

ولبناء الرمز الكلي ، يعتمد الشاعر على نمطين من البناء الرمزي:

النمط الأول : الاستعارة الرمزية : وهي التي يعتمد فيها بعض الشعراء الفلسطينيين المعاصرين لتمثيل فكرة محددة واضحة على الأسلوب القصصي أو الحواري ، ويقدم شخصيات رامزة ، قد تكون من الحيوانات أو الطيور أو غيرها ، وتفتقر مثل هذه القصائد إلى المعنى الإيحائي ، لأن الشاعر قد يصرح بفكرته في نهاية القصيدة.

يقول أحمد بشير العيلة في قصيدته " طيور الرئيس"[52] – نكتفي بكتابة بعض سطورها لضيق المقام – يقول فيها :

ما بين موت لا يجيء وبين موت واقفٍ
نحتاج موتاً ثالثاً للموت
وموتاً رابعًا للصحو
نجبل ما تقدم من نهاياتٍ بقائمة الوفيات الطويلهْ

.....

هذي الطيور
خُلقت طويلاً من صلاة العصر
وماتت في فرنسا

.....

هذي طيورك غادرت
جسداً مليئاً بالبواخر والطعون
هذي طيورك تعبر البحر إلى البحر فبحر فاكتمال
هذي طيورك تسترد جناحها من آخر الكلمات لك

.....

طيور الرئيس
تلم مناقيرها أدمعاً في نهاية حرب ضروس

.....

طيور الرئيس
تحج إلى جسد غائب في الحقائق
وتغفو الحقيقةُ في رتبة رابعة
تلُم الطيور مناقيرها من هواءٍ يحيط بأسرارها
فتنقر باب الصعود
رتبةً..رتبة لتعود
تنام الحقيقةُ
ولكنها لا تموت

يستهل الشاعر قصيدته فيتحدث عن دلالة الموت ، ولا يتحدث عن الموت بمعناه التقليدي المألوف لنا جميعاً والذي يعني النهاية بل إنه هو البداية والحياة ، لأنه سبيل إلى حياة حرة كريمة. فالموت عنده ليس موتاً مجانياً ، إنه الموت من أجل الحياة.

ويستخدم الشاعر أسلوب الالتفات الذي ينتقل فيه من المخاطب إلى الغائب في قوله " هذه الطيور / خُلقت طويلاً من صلاة العصر/وماتت في فرنسا" والخطاب في " هذه طيورك تعبر البحر إلى البحر فبحر فاكتمال/هذي طيورك تسترد جناحها من أخر الكلمات لك".

يقدم الشاعر صورة كلية لرمز الطيور الذي كشف النص عن دلالات متعددة له . فالطيور ترمز إلى الشعب الفلسطيني بأرواحه التي كانت تهيم حول الرئيس " أبو عمار" ، وهذا يعني ارتباط الشعب الفلسطيني بمشاعره وأحاسيسه بقائده الذي لم يشعر بانفصاله عنه ، فالطيور هي الأرواح والأماني التي تعلقت بالشهيد عرفات.

فالطيور التي " خُلقت طويلاً من صلاة العصر/وماتت في فرنسا" رمز للشعب الفلسطيني الذي فقد فارسه الذي يمثل الأمل والحلم والتحرر ، والطيور هي أرواح الشعب الفلسطيني المتعلقة بالشهيد ياسر عرفات والمرتبطة به ارتباطاً عضوياً.

ويرتبط معنى الطيور في النص بالمأساة والحزن " طيور الرئيس/تلم مناقيرها أدمعاً في نهاية حرب ضروس" ، فالأرواح مرتبطة بالموت والحياة ، " تلم الطيور مناقيرها من هواء يحيط بأسرارها /فتنقر باب الصعود/رتبة..رتبة لتعود/تنام الحقيقة/ولكنها لا تموت"

ولكلمة الطيور أصولها اللغوية والفلسفية والدينية ومعانيها المختلفة التي لا يتسع المقام للحديث عنها ، مثل معنى قوله تعالى :" وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونُخرجُ له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا"(53).

فـ"طائره " تعني عمله من خير أو شر ، ومن معاني الطير : الأمر ، ومنه قولهم : لا طير إلا طير الله ، والحظ والشؤم والخفة والطيش وهي معان مجازية ، ومنه قولهم :" كأن على رؤوسهم الطير" أي : هادئون ساكنون ليس فيهم طيش ولا خفة ، كما تعني الحرية ، فقد استطاعت أرواح الشعب الفلسطيني أن تكسر الحصار وتهيم حول الرئيس.

النمط الثاني : وفيه يعتمد الشاعر الفلسطيني المعاصر على تقديم رمز عام ينبع من تكامل صور القصيدة وعناصرها الفنية ، ونلاحظ أن القراء قد يختلفون في تفسير مثل هذا النوع من الرموز. ويرجع ذلك إلى أن مثل هذا النوع من الرموز يحتمل أكثر من دلالة ، وأكثر من مضمون رمزي ، وهذه الرموز غنية بإمكانيات إيحائية كثيرة ، ويعتمد الشاعر في الرمز الكلي على الصور الرمزية المركبة أكثر من اعتماده على الرموز المفردة . ويختلف بناء هذا النوع من الرموز عن

الاستعارة الرمزية ، التي تحدثنا عنها ، إذ أنه لا يعتمد على تمثيل معنى محدد وواضح ، بل إن المعنى الرمزي العام يتحقق من خلال صور القصيدة وعناصرها.

في قصيدة "كنعان لا يموت"[54] تقدم لنا الشاعرة سلوى السعيد صورة للشهيد أبي عمار، نكتفي بكتابة مقتطفات منها :

" مازلت حيًّا رغم موتك "
لم تكن قتيلا ،
لم تكن يوماً سوى ،
أسطورة العصر الذبيح،
ولم تكن إلا رسولاً!
مازلت حياً رغم جرحك،
رغم نعيك ، يا وحيدَ الحزن ،
موتك بيننا أضحى صهيلاً،
لم تكن إلا رسولاً!

تنقل إلينا الشاعرة في هذه القصيدة مجموعة من الصور التي توحي بالمعنى الرمزي ، وقد لجأت في بناء هذا الرمز الكلي ، إلى الصور الرمزية المركبة أكثر من اعتمادها على الرموز المفردة ، فتقدم هنا تصويراً لكنعان الذي لا يموت ، وكنعان هذا هو رمز أسطوري قديم بالإضافة إلى أنه الجد الأول للساميين العرب ، وهو أحد أجداد قريش قبل إسماعيل عليه السلام . ويستحضر الشاعر هنا التراث التاريخي ، ليؤكد جذور الشعب الفلسطيني الممتدة إلى الكنعانيين الذين سكنوا فلسطين. الصورة الأولى هي صورة الشهيد أبي عمار الذي لم يزل حياً رغم موته فهو رسول خارق تحدى كل عوامل القهر والموت من أجل الوصول بشعبه إلى الحياة ، وتتجلى الأسطورة هنا في مأساوية الموت ، كما تتمثل في بطولة وقيادة عظيمة خارقة تتجاوز كل المصاعب والمتاعب ، ولم "يكن يوماً قتيلاً" ومن الجائز أن يكون الشاعر قد استحضر هنا صورة الذبيح إسماعيل عليه السلام، بل كان الشهيد أبو عمار " أسطورة العصر الذبيح" ، فقد كان قائداً أسطورياً في عصر ذبيح يتنكر لحقوق الإنسان ومبادئه ، وكان رسولاً تحمل الأذى وصبر ، وهنا يستحضر الشاعر التراث التاريخي الإسلامي والتراث الديني ، ويؤكد الشاعر مرة ثانية أن الشهيد أبا عمار مازال حياً رغم نعيه ، وأضحى موت أبي عمار بين شعبه عرساً وطنياً " موتك بينا أضحى صهيلاً" ولم يكن إلا رسولاً. ثم تقدم الشاعرة صورة أخرى للشهيد أبي عمار تدعوه فيها للأخذ بالثأر وأن يمتشق مقلاعه السحري للدفاع عن الشعب الفلسطيني والعروبة (رفوف الطير) والدفاع عن المسجد الأقصى والقدس ، وتدعوه إلى الثورة والكفاح ، لأنه لم يكن في يوم من الأيام قتيلاً بل

شهيداً ، أحب وطنه ولم يفارقه ، ولم يختر بديلاً له ، ويلفت النظر استخدام الشاعرة رموزاً مستمدة من البيئة الفلسطينية كرمز "جفرا".

وتقدم الشاعرة صورة أخرى للشهيد أبي عمار الذي عرف بالصبر والثبات في الشدائد، وتخاطبه وتدعوه ألا يشكو أمره لغير الله ، فقد خذله العرب وغدروا به ، " وارتاحوا لذبحك / فاصبر الصبر الجميلا / لم تكن إلا رسولا". وتقدم صورة أخرى للشهيد أبي عمار فقد كان " راسخاً مثل الجبال" وتدعوه إلى أن يموت كما " مات الرجال/على ظهور الخيل" ، فشعبه وأمته العربية لها باع طويل في الفروسية والقتال. وتقدم الشاعرة صورة أخرى تدعو فيها أبا عمار إلى وقف المفاوضات مع العدو ؛ فالعدو لا يريد السلام ، ويغدر به في السلم والحرب ، ويحاول العدو أن يقتله بكل وسيلة ، " هم يسرقون حليب أمك من فمك/هم فاوضوك على دمك/ هم ألبسوك سوادهم/حتى أغانيك التي / رقصت بها (جفرا) / أحالوها عويلاً"، ويلفت النظر هنا استخدام الشاعر رموزاً مستمدة من البيئة الفلسطينية كرمز "جفرا ".

وتقدم الشاعرة صورة أخرى تدعو فيها العرب إلى وقف التفاوض مع العدو ، لأن اليهود قتلة الأنبياء والرسل وصلبوا السيد المسيح وحللوا دمه ، وتطاولوا على الأديان السماوية ، ومزقوا القرآن والإنجيل ، وبدلوا في توراتهم. وتنتقل الشاعرة إلى صورة أخرى ، فتدعو أبا عمار إلى إعلان ثورته على اليهود ووقف التفاوض معهم ، لأن اليهود وعلى رأسهم شارون أمعن في ذبح وقتل الشعب الفلسطيني ، ومذبحة صبرا وشاتيلا شاهد على ذلك.

ملخص البحث:

أهدافه : يهدف هذا البحث إلى إبراز صورة القائد الشهيد " أبو عمار" في الشعر الفلسطيني المعاصر بأبعادها الوطنية والقومية والإنسانية ، والإشارة إلى العوامل التي ساهمت في تشكيل هذه الصورة المتفردة التي عكست بطولات الشعب الفلسطيني.ويهدف هذا البحث أيضاً إلى الكشف عن بعض الوسائل الفنية التي استخدمها الشاعر الفلسطيني المعاصر للتعبير عن صورة القائد " أبو عمار" تعبيراً فنياً ، من خلال استخدامهم للرمز والصورة والموسيقى والمعجم الشعري الخاص.

منهج البحث : هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناول وصف هذه الأبعاد المؤتلفة التي تشكل شخصية القائد الشهيد " أبو عمار".

نتائج البحث :

1. كان لوفاة أبي عمار تأثير كبير على شعبه ، فكانت وفاته بمثابة زلزال هز وجدان الشعراء الفلسطينيين فتسابقوا وتنافسوا في رثائه.
2. عبر الشاعر الفلسطيني عن بطولة أبي عمار ، فقد كان بطلاً من أبطال النضال الفلسطيني في السلم والحرب ، وتجسدت هذه البطولة في التعبير عن أمل الأمة والدفاع عن حقوقها.

3. تحدث الشاعر الفلسطيني عن شخصية أبي عمار بوصفه قائداً متميزاً وثائراً متحمساً ، ذا عزيمة وإرادة قوية ، واجه التحديات في إصرار وعناد ، ودافع عن كرامة شعبه ، وقاده إلى بر الأمان في ظروف حالكة السواد.
4. عبر الشاعر الفلسطيني عن مكانة أبي عمار الخاصة في قلوب أبناء شعبه ، وفي قلوب العالمين : العربي والإسلامي ، والدول الصديقة ، ومد يد العون والمساعدة والدعم المادي والمعنوي لأبناء شعبه ، وكان راعياً للحلم الفلسطيني.
5. صوّر الشاعر الفلسطيني حب الشعب الفلسطيني وإخلاصه للشهيد أبي عمار ، ومشاركة الجماهير الفلسطينية في تشييع قائدها الرمز معبرةً عن حبها له.
6. التفت الشعراء الفلسطينيون إلى شخصية أبي عمار بوصفه زعيماً وقائداً يمثل أمل شعبه وحلمه وانعكس ذلك على الصورة والرمز ، واستطاع الشعراء أن يصوروا هذا التلاحم بين القائد وشعبه ، من خلال الصور والرموز.
7. أثّرت وفاة أبي عمار على تصوير الشعراء الفلسطينيين لاستشهاده ، وقدم الشاعر الفلسطيني صوراً للمرارة التي عاشها شعبه يوم رحيله ، وعبر عن قلوب الشعب الفلسطيني التي كانت تنزف دماً وتعتصر ألماً، فارتبطت هذه الصور بالحزن ، وتنوعت بين صورٍ : مفردة أو مركبة أو كلية.
8. وظف الشاعر الفلسطيني الرمز توظيفاً فنياً في بعض قصائده واعتمد في ترميزه على مصادر متعددة : ذاتية أو دينية أو تاريخية أو تراثية ، وتنوعت أشكال الرمز بين رمز مفرد أو مركب أو كلي.
9. عبر بعض الشعراء الفلسطينيين عن استشهاد أبي عمار تعبيراً فنياً بينما جاءت قصائد أخرى عند شعراء آخرين نثرية تقريرية ، ذات نبرة خطابية عالية.
10. جاء الرمز في بعض القصائد غامضاً ، وربما يرجع ذلك إلى أن الشاعر قد عوّل على الشكل أكثر من التعبير عن الموقف ، أو أن الحزن عند بعض الشعراء لم يصل إلى مستوى العمق ، أو أن الغموض يأتي من إشكالية في الصياغة إلى جانب الرؤية ، وجاءت رموز أخرى واضحة لا لبس فيها.
11. استخدم الشعراء الفلسطينيون معجماً شعرياً خاصاً يرتبط باستشهاد أبي عمار ، وشخصيته المتميزة ، والعلاقة القوية التي تربطه بشعبه وتربط شعبه به.

هوامش البحث ومصادره ومراجعه :

1. الزعيم القائد ياسر عرفات في عيون الأدباء- اللجنة التحضيرية للمؤتمر العلمي الـدولي-" ياسر عرفات ذاكرة وطن ومسيرة شعب" ص113 .
2. المصدر نفسه ص3.
3. المصدر نفسه ص6.
4. المصدر نفسه ص18.
5. المصدر نفسه ص117-118.
6. سورة الحج-آية 27.
7. الزعيم القائد ياسر عرفات في عيون الأدباء ص68.
8. المصدر نفسه ص8.
9. المصدر نفسه ص9.
10. المصدر نفسه ص11.
11. المصدر نفسه ص17.
12. المصدر نفسه ص58.
13. المصدر نفسه ص22-23.
14. المصدر نفسه ص23.
15. المصدر نفسه ص9.
16. المصدر نفسه ص3-4.
17. المصدر نفسه ص20.
18. المصدر نفسه ص20.
19. المصدر نفسه ص59.
20. المصدر نفسه ص21.

21. المصدر نفسه ص9.

22. المصدر نفسه ص18-19.

23. المصدر نفسه ص39.

24. المصدر نفسه ص40.

25. المصدر نفسه ص40.

26. المصدر نفسه ص58-59.

27. المصدر نفسه ص121.

28. المصدر نفسه ص109-110.

29. المصدر نفسه ص57.

30. قصيدة "الرمز الخالد"- قصيدة مخطوطة بقلم الشاعر عمر محمود شلايل الخرطوم ص1 .

31. الزعيم القائد ياسر عرفات في عيون الأدباء ص40-41.

32. سورة التين – آية 1.

33. الزعيم القائد ياسر عرفات في عيون الأدباء ص107.

34. المصدر نفسه ص7.

35. المصدر نفسه ص8.

36. سورة طه-آية 22.

37. قصيدة "الرمز الخالد" – عمر شلايل ص12.

38. فن الشعر – إحسان عباس ص238- دار الثقافة بيروت الطبعة الثانية –د.ت.

39. الزعيم القائد ياسر عرفات في عيون الأدباء ص2.

40. المصدر نفسه ص19.

41. المصدر نفسه ص9.

42. المصدر نفسه ص56.

43. انظر المصدر نفسه ص79-83.

44. انظر المصدر نفسه ص107-108.

45. فن الشعر – إحسان عباس ص238.

46. الرمز والرمزية –د. محمد فتوح أحمد ص 38، دار المعارف ، الطبعة الثانية 1978م.

47. الشعر العربي المعاصر – د. عز الدين إسماعيل ص22 – دار العودة ودار الثقافة – بيروت– الطبعة الثانية –1972.

48. المرجع نفسه ص221.

49. الزعيم القائد ياسر عرفات في عيون الأدباء ص55.

50. المصدر نفسه ص41.

51. المصدر نفسه ص104.

52. انظر المصدر نفسه ص63-69.

53. سورة الإسراء – آية 13.

54. المصدر نفسه ص75-77.